مع المرضى

في صبرهم وقدرهم وأجرهم وعيادتهم وتداويهم وعباداتهم

تأليف
عطية محمد سالم

مكتبة الإرشاد

مع المرضى

في صبرهم وقدرهم وأجرهم وعيادتهم وتداويهم وعباداتهم

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية :

١٣٤٦٠ /٢٠٠٩م

مكتبة الإرشاد

خلف الجامع الأزهر ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

محمول: ٠٠٢ / ٠١٨ ٩٨ ٩٩ ٨٣٩

E-Mail:al-ershad@hotmail.com

مع المرضى

في صبرهم وقدرهم وأجرهم وعيادتهم وتداويهم وعبادتهم

تأليف

عطية محمد سالم

مكتبة الإرشاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ أفضل خلق الله سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإذا كانت المساجد بيوتًا لله، أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يؤمها المصلون لذكر الله، ويرجون رحمة الله، في رغبة ورهبة، خاشعة قلوبهم، متذللة نفوسهم بين يدي الله، مرفرفة أرواحهم في جنبات رياض رحمة الله، وهي كذلك.

فإن في الأرض بيوتًا يأوي إليها أحباب الله، تغشاهم فيها الرحمة، وتشملهم المغفرة، ترفع لهم فيها الدرجات، وتضاعف لهم فيها الحسنات، وتحط عنهم السيئات، أولئك هم الذين أحبهم الله فأصاب منهم وآواهم إلىٰ تلك الأسرة البيضاء، وكلهم آمال في عاجل الشفاء.

وقد أطافت بهم تلك القلوب الحانية، والنفوس الراضية، تؤاسيهم بالدواء، وتواسيهم بالدعاء، تستقبلهم بالبسمة الهادئة، والنظرة العطوف، يحفونهم برقة الطبع ولين القول، من أولئك الذين وهبوا حياتهم لخدمتهم، وسهروا ليلهم لراحتهم، يشعرون بآلامهم، ويشاركون في آمالهم، يمدون إليهم يد العون بلمسات خفيفة، وكلمات لطيفة في رفق وحنان ينعشون نفوسهم ويجددون آمالهم، وينسونهم كل بأس، ويدفعون عنهم كل بؤس، يمثلون ملائكة الرحمة، ورسل الرأفة والشفقة.

فإلىٰ هؤلاء وإلىٰ أولئك أسطر كلماتي هذه، وأرفع إلىٰ المولىٰ دعواتي، وأقدم عظيم شكري ووافر تحياتي، أترجم شعوري وإحساسي، عطفًا علىٰ هؤلاء المرضىٰ

متعاطفًا معهم، وتقديرًا وتكريمًا لأولئك الأطباء الذين هم في رعايتهم والقائمين بأمرهم، ومن يعمل معهم من ممرضين يلازمونهم، والمساهمين في خدمتهم في كل المرافق من مختبر للتحاليل وأشعة وغيرها، وفي كل مرافق المستشفيات ممن يقدمون الدواء ويهيئون الطعام والغذاء ومن مهيئي لباسهم وممهدي فرشهم، وكل من يمسك بخيط من خيوط تلك الخدمات الإنسانية الجليلة.

وإلىٰ أولئك الذين يتحملون مسئوليات إدارة تلك الأجهزة ممن يعملون في صمت، متعاطفين مع الجميع من مرضىٰ وأصحاء من ذوي المرضىٰ وأهاليهم، لهؤلاء جميعًا منا ومن كل مواطن أخلص التحيات وأطيب الدعوات.

وفي هذه الرسالة الموجزة أقدم لأحباب الله الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله قومًا أصاب منهم**»(١).

أقدم لهم موجزًا عن عظيم الأجر لمن أصيب فصبر، ثم موجزًا لمن عاد مريضًا، وآداب عيادة المرضىٰ، وعظيم أجره، ثم كلمة شكر لكل من مدَّ يد العون لكل مريض من مال أو نفس أو جاه أو كلمة طيبة، سائلًا المولىٰ سبحانه أن يجعل في ذلك مبعث راحة وارتياح، وطمأنينة قلب وسكينة نفس، وتجديد أمل، وعظيم رجاء في الله، وحسن توكل علىٰ الله، وما توفيقي إلا بالله.

عطية محمد سالم
القاضي في المحكمة الكبرىٰ
بالمدينة المنورة

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، بلفظ: «**إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم...**»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٠).

عظيم الأثر لمن أصيب فصبر

لا شك أن الصبر على البلاء هو أثر ولازم من لوازم الإيمان بالقضاء، ومعلوم أن الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة: التي أولها الإيمان بالله تعالى، وآخرها الإيمان بقدره سبحانه.

والإيمان بالقدر يستلزم الرضاء بخيره وشره، ويؤمن المؤمن بأن الله تعالى قد كتب كل شيء قبل أن يخلق العالم كله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

وفي الحديث: «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة**»(١).

ويوضح ذلك مفصلًا قوله تعالى: ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾ [فصلت:٤٧].

فعلمه سبحانه محيط بكل ما في هذا الكون: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

يعلم الحاضر والغائب، والخفي والظاهر: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

وكذلك ما يصيب العبد فهو مقدر مسجل في كتاب، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٧، ٢٠١٨).

مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

فكل ما يصيب العبد إنما هو بمقتضىٰ تقدير العزيز العليم، ولا يعلم العبد أين الخير في أي تقدير، وما عليه إلا الرضا بقدر الله، حيث يعلم أن كل ما يصيبه إنما هو بإذن الله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [التغابن:١١-١٢].

وهذا نص من كتاب الله: أن من يؤمن بالله وبقضاء الله فإن الله يهدي قلبه، ويرشده، ويجعله راضيًا محتسبًا، فيكون علىٰ نور من ربه، كما يجعله ملتزمًا بطاعة الله وبطاعة رسوله ﷺ، وفي ذلك كما السعادة، لأنه قد جعل خيار أمره لله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب:٣٦].

فتأمل أخي المؤمن مضمون هاتين الآيتين: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، أي: وبقضائه وقدره، ورتب عليه قوله: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ ويرض بقضائه: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ والآية الأخرىٰ في مقابلتها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾، سلبهم حق الاختيار مع قضاء الله ورسوله، ورتب عليه عكس ما رتب علىٰ الآية الأولىٰ: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾.

وشتان بين من رزق الهداية لقلبه، ومن سلك سبل الضلال المبين، عياذًا بالله، فلا شك أن العقل كل العقل هو الرضا والتسليم، ولا شك أن السعادة كل السعادة هي: من رزق هداية القلب، ونور البصيرة، وطمأنينة النفس.

وهذا مجمل الإيمان بالقضاء والقدر عمومًا.

القدر الخاص:

كما قدر الله سبحانه مقادير كل شيء لهذا الكون: سمائه وأرضه، إنسه وجنه، طيره ووحشه، بره وبحره، شجره وثمره، فقد جعل لكل إنسان قدره الخاص: رزقه

وأجله، شقاءه وسعادته، مفصلًا عن ذاك القدر العام.

كما جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد. فوالله الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها**»(١). متفق عليه.

وهذا نص صريح صحيح من الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه- أن الإنسان لا يملك لنفسه أخص ما يكون من أمره، ولا رزقه ولا أجله، ولا عمله، ولا شقائه، ولا سعادته، بل يتحكم فيه ما سبق مما كتب عليه يوم أن تنفخ فيه الروح، وهو لا يزال جنينًا لا يعي ولا يدرك شيئًا.

القدر السنوي للعالم:

وهناك القدر السنوي لكل عام، ينزله الله تعالىٰ ليلة القدر إلىٰ السماء الدنيا كل عام، وذلك كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر:١-٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الدخان:٣-٦].

وأمام هذه المقادير، وبحكم تلك التقديرات قديمًا وحديثًا، فليس لشيء من ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

تغيير ولا تبديل إلا ما شاء ربك، وعليه الحديث الجامع لكل ذلك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا، فقال لي: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالىٰ لك، وإن اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالىٰ عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١).

وفي بعض رواياته: «**تعرف إلىٰ الله في الرخاء، يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**»(٢).

وصدق رسول الله ﷺ، فمن الذي يستطيع أن يغير أو يبدل ما أراده الله؟ ولدينا نماذج عالية مصداقًا واقعيًا سجلها تاريخ الإنسان.

ومنها: خليل الرحمن عليه السلام: أراد به قومه كيدًا، فأحبط الله كيدهم، وجعلهم الأسفلين، ولما ألقوه في النار قال تعالىٰ: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

وهذا كليم الله موسىٰ، لما خافت عليه أمه وهو رضيع، أوحىٰ الله إليها: أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، فيؤويه الله إلىٰ يد عدوه، ويسخره لتربيته، ويرده إلىٰ أمه كي تقر عينها ولا تحزن.

ولما وصل موسىٰ عليه السلام البحر وأدركه فرعون وجنوده وقال من معه: إنا لمدركون، قال لهم: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢].

وأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾ [الشعراء:٦٣]، فكان الفرج، وكانت السلامة بانفلاق البحر كل فرق كالطود العظيم.

والمصطفىٰ ﷺ لما تآمر المشركون علىٰ قتله، وبيتوه بعشرة رجال بسيوفهم

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٤)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٠٣).

علىٰ باب بيته، فخرج عليهم، وغشيت أبصارهم، وسلمه الله.

وغير ذلك كثير، مما يؤكد فعلًا أن العالم كله لو اجتمع علىٰ أن يضر إنسانًا أو ينفعه، لا يستطيع ذلك إلا بشيء قد كتبه الله تعالىٰ، وكذلك أولئك الذين قدرت عليهم الشدائد والمصائب، لا يوقعها ولا يصرفها إلا الله سبحانه.

❋ ❋ ❋

ابتلاء العبد وامتحانه

وقد يكون ما ينزله الله بالعبد ابتلاءً وامتحانًا؛ ليعظم أجره، ويعلي منزلته، ويوضح ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

أي: المهتدون إلىٰ منهج الصواب من الرضا والتسليم، كما تقدم من قوله: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

بلوغ المنازل العالية بالصبر على البلاء:

وقد جاء عنه ﷺ: «**إن الله ليكتب للعبد عنده المنزلة العالية فلا يبلغها بعملٍ، فيصيب منه ليصبر، فيبلغها بذلك**»(١).

كما جاء: أنه بالصبر علىٰ البلاء، تحط عنه السيئات، وترفع له الدرجات، وتضاعف له الحسنات، فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعملٍ، فما يزال يبتليه بما يكره، حتىٰ يبلغه إياها**»(٢). رواه ابن حبان.

وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة، فلم يبلغها بعمل، ابتلاه الله في جسده، أو ماله، أوفي**

(١) انظر التخريجات الآتية.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٩٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٥).

ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله ﷻ»[١]. رواه أحمد وأبو داود.

تكفير الخطايا بالمرض ونحوه:

عن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتى الهم يهمه، إلا كفر بها من سيئاته**»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عنه بها، حتى الشوكة يشاكها**»[٣]. متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «**لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا قصَّ الله بها من خطيئته**»[٤].

وفي رواية أخرى: «**إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها خطيئة**»[٥].

وفي الأدب المفرد للبخاري: «**ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها خطاياه**»[٦].

فجمع كل الآلام الإنسانية: بدنية ونفسية، ماضية أو حاضرة أو متوقعة في المستقبل، ظاهرة أو خفية.

المعادلة بين المعافاة أو الصبر وله الجنة:

روى البخاري رحمه الله في الأدب المفرد: عن مسدد، عن يحيى، عن عمران بن

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٢)، وأبو داود (٣٠٩٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٠٩)، صحيح لغيره.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٧٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٤٢).

مسلم، قال: حدثني عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلىٰ، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك**». فقالت: أصبر، فادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها[١]. وساقه المنذري، وقال: رواه البخاري ومسلم.

هكذا كان السلف يرغب في الصبر علىٰ البلاء لعظم الأجر فيه.

وروىٰ أحمد وابن حبان وغيرهما، عن أبي سعيد الخدري قال: إن رجلًا من المسلمين قال: يا رسول الله، أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا؟ قال: «**كفارات**». قال أبيٌّ: يا رسول الله، وإن قلت؟ قال: «**وإن شوكة فما فوقها**».

فدعا علىٰ نفسه ألا يفارقه الوعك حتىٰ يموت، وألا يشغله عن حج ولا عمرة، ولا جهاد في سبيل الله، ولا صلاة مكتوبة في جماعة، قال: فما مس إنسان جسده إلا وجد حرها حتىٰ مات[٢].

ولكن ينبغي أن يُعلَم أن طلب العافية أفضل؛ لأنه ليس كل إنسان يصبر علىٰ ذلك، وقد يعيقه عن الضروريات؛ ولذا فإنه هنا قد استثنىٰ أهم الأعمال: من حج، وعمرة، وجهاد، وصلاة مكتوبة في جماعة.

وبقي هناك من أعمال البر: كقيام الليل، وصيام بعض الأيام، والكثير من نوافل العبادات، بل والسعي في طلب الرزق له ولعياله، والمشي في قضاء حوائج المسلمين...

وقد قال ﷺ في تضرعه عند عودته من الطائف وإيذاء ثقيف إياه قال: «**ولكن عافيتك أوسع لي يا رب**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٩٢٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٣٣): حسن صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٦/ ٣٧)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٩٣٣).

وقال ﷺ: «**ما سئل الله شيئًا أحب إليه من سؤال العافية**»(١).

علمًا بأن الشكر على العافية فيه خير كما في الصبر على البلاء، وقد قال ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(٢). رواه مسلم.

جريان عمل المريض حتى يشفى:

ومن سعة فضل الله على المؤمن أنه إذا ابتلاه مما يقعده عما كان يعمل في صحته من أعمال الخير، فإن الله تعالى يأمر ملائكته باستمرار كتابة تلك الأعمال التي كان يعملها، فلا ينقطع عنه أجرها.

روى البخاري، وأبو داود، عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»(٣).

وعند أحمد: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة، ثم مَرِضَ، قيل للملك الموكل به: اكْتُبْ له مثل عَمَلِهِ إذا كان طَلِيقًا حتى أُطْلِقَهُ أو أَكْفِتَهُ إليَّ**»(٤).

وعند أحمد أيضًا عن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**إذا ابتلى الله عز وجل العبد المسلم ببلاء في جسده، قال الله عز وجل للملك: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، وإن شفاه: غسله وطهره، وإن قبضه: غفر له ورحمه**»(٥).

إنه والله واسع فضل الله، ولولا غضاضة الأمراض وعناء البلاء لما جزع مؤمن

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٢١).

وأكفته: أضمه.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٨).

من مرض أصابه ولا بلاء نزل به.

واستمع لما رواه ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عجب للمؤمن وجزعه من السقم، ولو كان يعلم ما له من السقم أحب أن يكون سقيمًا الدهر»**. ثم إن رسول الله ﷺ رفع رأسه إلى السماء فضحك، فقيل: يا رسول الله، مم رفعت رأسك إلى السماء فضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«عجبت من ملكان كانا يلتمسان عبدًا في مصلى كان يصلي فيه، فلم يجداه، فرجعا، فقالا: يا ربنا عبدك فلان كنا نكتب له في يومه وليلته عمله الذي كان يعمل، فوجدناه حبسته في حبالك -يعني** شراك المرض- **قال الله -تبارك وتعالى-: اكتبوا لعبدي عمله الذي كان يعمل في يومه وليلته ولا تنقصوا منه شيئًا، وعليَّ أجره ما حبسته، وله أجر ما كان يعمل»**(١). رواه الطبراني في الأوسط وغيره.

معادلة بين أجر الشهداء والصبر على البلاء:

لا شك أن أجر الشهداء في أعلى الدرجات، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ولكن بعض الآثار قد تضع أجر الصابرين على البلاء فوق منزلة الشهداء، كما روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب، ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان، فيصب عليهم الأجر صبًّا، حتى إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله»**(٢).

فهذا الأثر وإن لم يروه أصحاب السنن، إلا أن له ما يشهد له ويقويه من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٣١٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٩٩٨).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد (٣/ ٣٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٩٨٥).

ومن جانب آخر فإن الشهيد قد ذاق الموت مرةً واحدةً، وأهل البلاء قد يذوق بعضهم الموت عدة مرات، لشدة ما يعانيه من شدة البلاء، نسأل الله تعالىٰ العفو والعافية.

وقد سقت ذلك كله بين يدي أحباب الله، ليلقي عليه نظره، ويملأ به سمعه، ويعمر بالإيمان واليقين والرضا به قلبه.

وللجميع في سيد الخلق -صلوات الله وسلامه عليه- المثل الأعلىٰ، والقدوة الحسنة، فقد روىٰ البخاري في الأدب المفرد وغيره: أن أبا سعيد الخدري، دخل علىٰ النبيﷺ وهو موعوك عليه قطيفة، فوضع يده عليه فوجد حرارتها فوق القطيفة، فقال أبو سعيد: ما أشد حماك يا رسول الله! قال: «**إنا كذلك يشدد علينا البلاء، ويضاعف لنا الأجر**». فقال: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثم الصالحون، وقد كان أحدهم يبتلىٰ بالفقر حتىٰ ما يجد إلا العباءة يجوبها فيلبسها، ويبتلىٰ بالقمل حتىٰ يقتله، ولأحدهم كان أشد فرحًا بالبلاء من أحدكم بالعطاء**»[1].

وعند ابن ماجه: من أشد الناس بلاءً يا رسول الله؟ قال: «**الأنبياء**».قال: ثم من؟ قال: «**العلماء**». قال: ثم من؟ قال: «**الصالحون**»[2].

وعند المنذري: مما رواه البخاري ومسلم، عن ابن مسعود ﷺ قال: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ فمسسته فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكًا شديدًا. فقال: «**أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**». قلت: ذلك بأن لك أجرين؟ قال: «**أجل، ما من مسلم يصيبه أذىً من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**»[3]. -صلوات الله وسلامه عليه-.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥١٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٠٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٩٩)، وفيه تقديم العلماء علىٰ الصالحين، وانظر: الموضع السابق من صحيح الترغيب.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٦٠)، ومسلم (٢٥٧١).

ولعل في هذا القدر مما سقناه من بيان ما جاء في الأثر من عظيم الأجر لمن ابتلي فصبر، ابتداء من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- ثم العلماء رضي الله عنهم، ثم الصالحين -رحمهم الله ورحمنا معهم- كفايةً للتأسي، وصورةً واضحةً للاقتداء، والله الموفق.

نماذج للصبر الجميل:

كل بلاء ينزل بالعبد فإنما هو اختبار له، وبقدر إيمانه يكون بره، وبقدر صبره يكون أجره، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢].

وتقدم قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وأشد الناس في ذلك هم الأنبياء، وصبرهم هو المثال الذي يحتذىٰ، كما قال تعالىٰ لنبيه وصفيه وحبيبه نبينا محمدﷺ خاتم النبيين: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وفي مقدمتهم خليل الرحمن -عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام- ابتلي عدة مرات: منها إلقاؤه في النار، فصبر وقال: علمه بحالي يغنيه عن سؤالي، فكان جوابه قول الحق سبحانه: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

ثم خرج مهاجرًا قائلًا: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩].

ثم امتحن بالأمر بذبح ولده، وبعد أن رُزِقَه علىٰ الكبر، وأبعده عنه من الشام إلىٰ الحجاز وبلغ معه السعي، قال: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾، إنه ابتلاء للولد وللوالد معًا، فكان جواب الولد في صبر وثبات وإسلام واستسلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. من الصابرين علىٰ أي شيء؟ علىٰ مرض ألم ويرجىٰ شفاؤه؟ علىٰ عضو كسر وينتظر جبره؟ علىٰ جزء

من البدن فُقد وعند الله عوضه؟ إنه الصبر على الموت، وأي صورة من صور الموت؟ إنه الذبح! وبدون قصاص في جناية، ولا عقوبة في جريمة، إنها الطاعة لله، وبر لوالده، فكانت النتيجة كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وابتلاء للوالد لأنه أمر بذبح نفس، ومن تكون هي؟ إنه ابنه، رزقه على الكبر، وحرم قربه في الصغر، وهاهو لما بلغ معه السعي قال: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ فكان الابتلاء في ذبح ولده، لا في إقصائه عنه، ولا فقد ماله، ولا في خسارة تجارته، ولا باغترابه عن وطنه، إنه ابتلاء في ذبح ولده وبيده هو!

رحماك رباه! كيف تحمله قدماه؟! رحماك رباه! كيف تقوىٰ على حمل السكين يمناه؟! رحماك رباه، كيف لم يعجز ولم تخنه قواه؟! لقد أقدم على ما أُمِرَ به، وشرع في تنفيذ أمر الله، فتلَّه للجبين، ووجه نحوه السكين، حقًّا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾!

ولكن أدركتهما رحمة الله في هذا النداء الكريم: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:١٠٤-١١١].

إنه ابتلاء الأسرة بكاملها: الوالد يبتلىٰ في ولده، وكذلك والدته لم تعارض في أمر ربها، والولد يبتلىٰ على يد والده، فيستسلم الجميع ويسلمون الأمر لله، فتكون عاقبة الصبر والتسليم، هذا الذكر الحسن الذي تركه الله له في الآخرين، وهذا السلام المبارك من رب العالمين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، نعم، كذلك يجزي الله المحسنين.

وهذا نبي الله أيوب عليه السلام أصبح صبره على ابتلائه مضرب المثل: فلان صابر صبر أيوب! وقد خاطب المولىٰ تعالىٰ نبينا ﷺ فيه بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾، وكانت نتيجة صبره واتجاهه إلىٰ ربه أن منحه العافية وعوضه خيرًا مما ذهب عنه.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾، أي: تغتسل فتبرأ، وتشرب فتنعم، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٤١-٤٣]. أي: كل من يذكر حالته فيصبر، والنماذج في عامة الناس بعد الأنبياء كثيرة، وغرضنا هنا مجرد نماذج للناس.

النموذج الأول في سلف هذه الأمة:

عروة بن الزبير:

هذا التابعي الجليل، ابن حواري رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ﷺ، وابن عمة رسول الله ﷺ، وأحد الفقهاء السبعة الذين آل إليهم علم أهل المدينة آنذاك.

وهو الذي اجتمع في الحجر بمكة مع كل من مصعب وعبد الله ابني الزبير، وعبد الله بن عمر، فقالوا: تمنوا في مجلسكم هذا، فقال عبد الله بن الزبير: أمَّا أنا فأتمنىٰ الخلافة، وقال مصعب بن الزبير: أما أنا فأتمنىٰ إمرة العراق، والجمع بين عائشة بنت طلحة، وسكينة بنت الحسين، وقال عروة: أما أنا فأتمنىٰ أن يأخذ الناس عني العلم، وقال ابن عمر: أما أنا فأتمنىٰ المغفرة[1].

هذا عروة في نسبه وقربه من رسول الله ﷺ، وهذه أمنيته وقد نال الثلاثة في الدنيا كل واحد منهم أمنيته، وإنا لنرجو لنا ولابن عمر في الآخرة أمنيته بفضل الله تعالىٰ، فكان عروة ممن جمع علم عصره، وممن يؤخذ العلم عنه.

ولقد امتحنه الله بما يعتبر أعظم أسوة وأكبر موعظة، كما ذكر في ترجمته أنه ذهب إلىٰ الشام إلىٰ الوليد بن يزيد في خلافة بني أمية، وهو في الطريق وطئ عظمًا فخرقت قدمه، فلما بلغ دمشق بلغ ألمه ذلك كل مبلغ، فجمع له الوليد الأطباء فأجمعوا رأيهم علىٰ ضرورة قطع رجله مخافة السراية إلىٰ عموم جسمه.

وعرضوا عليه أن يشرب مرقدًا: أي: مبنجًا ليمكن قطعها دون تحركه، وتخفيفًا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٠٩).

لآلامه، فأبىٰ، ونقل عنه أنه قال: ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالىٰ.

فأحمي له المنشار وقطعت رجله ولم يتحرك ولم يتوجع، وقال: ضعوها بين يدي، وهناك يتوجه إلىٰ الله بتلك الكلمات: الحمد الله، لئن أخذت فقد أبقيت، ولئن ابتليت فقد عافيت، ولم يلبث أن جاءه خبر بأن ولده كان ينظر إلىٰ الخيل من أعلىٰ سطح الإصطبل فسقط فمات، فقال: الحمد لله لئن أخذت واحدًا فقد أبقيت جماعة[1]. الذهبي، حلية الأولياء.

وقال صاحب المستطرف تعليقًا علىٰ هذا: إنه قدم علىٰ الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير، فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره، فقال: خرجت مع رفقة في سفر ومعي مالي وعيالي، ولا أعلم عبسيًّا يزيد ماله علىٰ مالي، فعرسنا ببطن واد، فطرقنا سيل، فذهب ما كان لي من مال وأهل وولد، غير صبي صغير وبعير، فشرد البعير، فوضعت الصغير علىٰ الأرض ومضيت لأخذ البعير، فسمعت صيحة الصغير، فرجعت إليه، فإذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه، فرجعت إلىٰ البعير، فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي، فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل.

فقال الوليد: اذهبوا به إلىٰ عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه[2].

ولقد رثىٰ الشيخ الجليل عروة رجله بأحسن رثاء، إذ قال حين رأىٰ رجله بين يديه:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ... ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

كما أحسن له العزاء فيها عيسىٰ بن طلحة، إذ دخل عليه، فكشف له عنها فقال: إنا والله يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقىٰ الله منك لنا ما كنا نحتاج إليه: رأيك، وعلمك.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٧٩).

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف؛ للأبشيهي (٢/ ١٥٣).

وهو ما قاله عروة أولًا: لئن أخذت فقد أبقيت، ولئن ابتليت فقد عافيت. إنه والله لهو الصبر الجميل الذي قاله يعقوب عليه السلام في ولده.

النموذج الثاني:

وفي التاريخ عبر وصور لا تسعها هذه الرسالة، ولكن نسوق نموذجًا آخر حدث في زماننا، وعاصرته وشاهدت آثاره، وفي المدينة المنورة في أوائل الستينات هجرية من شيخ جليل جاوز علىٰ ما أعتقد السبعين من عمره، وهو الشيخ صالح بن عبد الله بن محمد بن حمد الزغيبي إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف آنذاك.

وهذا ما سمعته وشاهدته بالتفصيل: في بعض الأيام وبعد صلاة الصبح مباشرة وجدته جالسًا في الروضة مسندًا ظهره إلىٰ الحجرة الشريفة، وكانت الإمامة في الروضة في غير زحام الموسم، ورجل يقرأ وينفث علىٰ رجله برقية من ضربة عقرب، ثم نقل إلىٰ بيته بالحارة قريبًا من المسجد، فجئته فسمعته يذكر للحاضرين بعد أن أسعف واستراح.

قال: لقد أصابني عند الأذان الأول، وذلك أني علىٰ ما تعودت إذا أذن الأول قمت فتوضأت وأوترت ثم ذهبت إلىٰ المسجد علىٰ مهل، فيؤذن الثاني فأصلي سنة الصبح وأنتظر الإقامة فأصلي الصبح.

واليوم قمت علىٰ عاداتي عند الأذان الأول فتوضأت وحين وضعت قدمي اليسرىٰ في النعل أصابني العقرب فآلمني جدًّا، وتحاملت علىٰ نفسي فقمت ولم أستطع المشي، وأخذت أفكر في صلاة الجماعة، وليس عندي من يخبر أحدًا بالصلاة، وكان ينوب عني الشيخ عبد العزيز بن صالح، ولم يكن إلا أن أصبر حتىٰ آتي المسجد أو أن أترك الناس ينتظرون.

فتحاملت وذهبت إلىٰ المسجد لعلي أجد بعض من ينوب في الصلاة، فلم أجد، فصبرت وتصبرت، حتىٰ جاء وقت الإقامة المعتاد، فأقيمت الصلاة وصليت، وبعد أن فرغت من الصلاة انهارت قواي، وأخبرت الحاضرين، فأخذوا يرقونني ثم

حملوني إلىٰ البيت، فعجبت لشدة تحمله وسألته: ولماذا لم تعجل بالإقامة؟

فقال: إن الناس اعتادوا المجيء إلىٰ المسجد النبوي في موعد محدد ويأتون من بعيد من آخر زقاق الطيار. فكرهت أن أعجل وتفوتهم الصلاة.

تلك صورة مشاهدة يتحملها شيخ كبير، وإن شبابنا لو يشاك بشوكة لتألم وتأفف، وهذا تمر به تلك المراحل ولم يلحظ أحد عليه، حتىٰ في حالة قراءته، وحالة قيامه، وركوعه وسجوده، كأن لم يكن به شيء في قوة وثبات وعزيمة حتىٰ أدىٰ الواجب المناط به مع تقدير تلك المسئولية العظيمة.

ولله رجال هو أعلم بإيمانهم، وهو الذي اصطفاهم، وفيهم أسوة وعزاء.

❊ ❊ ❊

عيادة المريض ندبها وآدابها وثوابها

إن من حقوق الأخوة الإسلامية التي جعلت المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر، من حقوق تلك الأخوة أنه إذا مرض فرد منهم -والحال أنه عضو في المجتمع الإسلامي- أن يعودوه ويواسوه في مرضه.

وقد جعل النبي ﷺ عيادة المريض هذه حقًّا لكل مسلم علىٰ أخيه المسلم في قوله -صلوات الله وسلامه عليه- فيما يروي البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حق المسلم علىٰ المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**»[1].

وفي رواية لمسلم: «**حق المسلم علىٰ المسلم ست**». قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**»[2].

فهذا حق جاء به الإسلام لرابطة الإسلام كما في حق الجوار للجوار، وبر الوالدين للولادة...إلخ.

ولا شك أنها حقوق تتفاوت مراتبها، وقد خُصت عيادة المريض بزيادة نصوص تخصها وتنفرد بها لأهميتها، أو تشاركها غيرها.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٢).

ومما اختص بها الآتي:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عاد مريضًا ناداه مناد من السماء: طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلًا**»(١). رواه الترمذي، وحسنه ابن ماجه وابن حبان.

٢- عن ثوبان ﷺ، عن النبي ﷺ: «**إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم، لم يزل في خرفة الجنة حتىٰ يرجع**». قيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**»(٢). رواه أحمد ومسلم.

٣- عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ، فأحسن الوضوء، وعاد أخاه المسلم محتسبًا، بُوعِدَ من جهنم سبعين خريفًا**». قلت: يا أبا حمزة، ما الخريف؟ قال: العام(٣). رواه أبو داود.

٤- وعن علي قال ﷺ موقوفًا ومرفوعًا: «**ما من رجل يعود مريضًا ممسيًا، إلا خرج معه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتىٰ يصبح، وكان له خريف في الجنة، ومن أتاه مصبحًا، خرج معه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتىٰ يمسي، وكان له خريف في الجنة**»(٤).

وفي رواية أخرىٰ لابن ماجه: «**إذا عاد المسلم أخاه مشىٰ في خرافة الجنة حتىٰ يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة**»(٥).

ومما اشتركت معه عيادة المريض الآتي:

١- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عودوا المرضىٰ،**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٠٩٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٥٣٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٠٩٨) عن علي ﷺ موقوفًا، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٢) عنه مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٧٦) موقوفًا ومرفوعًا.

(٥) أخرجه ابن ماجه (١٤٤٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٦٧).

واتبعوا الجنائز، فإنها تذكركم الآخرة»[١]. رواه أحمد وابن حبان.

٢- وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: **«خمس من عملهن في يوم، كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضًا، وشهد جنازة، وصام يومًا، وراح إلىٰ الجمعة، وأعتق رقبة»**[٢].

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: **«من أصبح منكم اليوم صائمًا؟»** فقال أبو بكر: أنا، فقال: **«من أطعم اليوم منكم مسكينًا؟»** فقال أبو بكر: أنا، فقال: **«من تبع منكم اليوم جنازة؟»** فقال أبو بكر: أنا، فقال: **«من عاد منكم اليوم مريضًا؟»** فقال أبو بكر: أنا، فقال ﷺ: **«ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل إلا دخل الجنة»**[٣].

تأمل أخي المسلم منزلة عيادة المريض، مع إطعام المسكين، واتباع الجنازة، وصوم يوم، وعتق رقبة.. إلخ.

وتأمل كذلك كيف يوجههم ﷺ علىٰ المنافسة في الخير والبر والنواحي الإنسانية، ويبشرهم علىٰ ذلك بالجنة، وليست منافسة في أية مسابقة وعليها أية جائزة مادية، إنها بهذا الأسلوب النبوي الكريم يدفع أصحابه إلىٰ التسابق والتنافس في أعمال البر والخيرات.

٤- واستمع إلىٰ الحديث القدسي يرويه مسلم، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا بن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده.**

يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٩٥٥)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٦٩): حسن صحيح.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٧٧١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٦٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٢٨).

لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟

يا بن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال: رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»(١).

الدعاء بين المريض وعواده:

إن الإنسان إذا كان في شدة من أمره في بلاءٍ أو مرض، يكون أشد رجوعًا وعودة إلىٰ الله تعالىٰ في ضراعة وإنابة وحسن رجاء، وصدق القصد، ولذا قالوا: يسأل الرجل عن ولده عند موته، فإنها ساعة يصدق فيها، وقبل مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشهادة في التدمية، يعني: من كان في الرمق الأخير من جراحة أصابته، يقبل قوله فيمن ادعىٰ عليه.

ووجهة نظره: أن المسلم إذا كان في آخر حياته، وعند خروجه من الدنيا وإقباله علىٰ الله، يقبل علىٰ الصدق، ويعرض عن الكذب، وبصرف النظر عن هذه النظرية، إلا أن فيها بيانَ حال المريض، واتجاهَه إلىٰ الله أملًا في الشفاء ورفع البلاء.

ومن كانت هذه حاله، فهو مظنة الصدق والإخلاص، وحسن الإنابة إلىٰ الله تعالىٰ، فإذا دعا، كان حريًّا أن يستجاب له، وعليه جاء الأثر عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخلت علىٰ مريض، فمره يدعو لك، فإن دعاءه كدعاء الملائكة»**(٢).

قال المنذري: رواه ابن ماجه، ورواته ثقات إلا أن ميمون بن مهران لم يسمع من عمر.

وعند الطبراني عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عودوا المرضىٰ، ومروهم فليدعوا لكم، فإن دعوة المريض مستجابة، وذنبه مغفور»**(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٤٤١)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب (٢٠٢٩): ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٠٢٧)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب (٢٠٣٠): موضوع.

وعن ابن عباس ﷺ مرفوعًا: «**لا ترد دعوة المريض حتىٰ يبرأ**»(١).

ولعل في هذا التوجيه النبوي الكريم من طلب الصحيح المعافىٰ من المريض أن يدعو له، ما يرفع معنوية المريض، ويشعره أنه في منزلة عند ربه تجعله يلتمس منه الدعوات الصالحة، وأن هذا الصحيح الذي جاءه ليعوده هو في حاجة إلىٰ دعوات منه، ولكأنها مكافأة للصحيح علىٰ مجيئه لعيادته، كما أن في هذا التوجيه أيضًا تنبيهًا للأصحاء علىٰ عظم الأجر لمن صبر علىٰ البلاء.

أما من جانب من يعود المريض، فقد استحب له أن يواسي المريض بحسن العبارة، ولطف الحديث معه، مما يخفف عنه ما يعانيه، ويبعث في نفسه الأمل في العافية والشفاء.

ومن ذلك الآتي:

١- ما جاء في عيادة النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص بمكة كما قال حميد بن عبد الرحمن: حدثني ثلاثة من أبناء سعد عن أبيهم: أن النبي ﷺ دخل علىٰ سعد يعوده بمكة، فبكىٰ سعد، فقال ﷺ: «**ما يبكيك؟**». قال: خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها كما مات سعد بن خولة، فقال ﷺ: «**اللهم اشف سعدًا**». ثلاث مرات.

فقال سعد: إن لي مالًا، وذكر أمر التصدق به والوصية فيه... إلىٰ آخره، فقد دعا ﷺ لسعد بالشفاء(٢). رواه البخاري في الأدب المفرد.

٢- ما جاء في مرض أبي بكر وبلال ﷺ أول مجيئهما المدينة، واجتووا هواءها، فيما رواه مالك في الموطأ والبخاري في الأدب المفرد عن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما.

قلت: يا أبتاه كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمىٰ يقول:

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٧/ ٢١٠)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب (٢٠٣١): موضوع.
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٤٢) مختصرًا، ومسلم (١٦٢٨) مطولًا.

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنىٰ من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته فيقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

هل أردنْ مياه مجنة ... وهل يبدوَنْ لي شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة**»[(١)].

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب المغني (٢/ ٤٤٩): وإذا دخل علىٰ المريض دعا له ورقاه، قال ثابت لأنس: يا أبا حمزة، اشتكيت، قال أنس: أفلا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلىٰ، قال: «**اللهم رب الناس، مذهب الباس، اشف أنت الشافي شفاء لا يغادر سقمًا**»[(٢)].

وروي أيضًا عن أبي سعيد قال: أتىٰ جبريل النبيﷺ فقال: يا محمد، أشتيكت؟ قال: «**نعم**»، قال: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس وعين حاسدة الله يشفيك[(٣)].

وقال أيضًا: وروي عنهﷺ أنه قال: «**إذا دخلتم علىٰ المريض فنفسوا له الأجل، فإنه لا يرد من قضاء الله شيئًا، وإنه يطيب نفس المريض**»[(٤)].

وهذا الجانب النفسي ألزم ما يكون للمريض؛ لأنه قوة نفسه، وانبعاث آماله، وتجعل عند الجسم حسن قابلية لتماثل الشفاء، وحسن استعداد للاستفادة من العلاج.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢٦)، واللفظ له، ومسلم (١٣٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٨٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٨٧)، وابن ماجه (١٤٣٨)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٨٤): ضعيف جدًا.

ولعل هذا هو عمل كل طبيب رفيق شفيق، وكل ممرض عاقل، ولو أن حالة المريض بلغت أقصاها، فإن ذلك بحسب الظاهر، وحقيقة الآجال عند الله سبحانه.

آداب عيادة المريض:

ولعيادة المريض آداب لا يمكن حصرها؛ لأنها تختلف باختلاف الأشخاص، واختلاف المرضىٰ، واختلاف الأمراض، كل ذلك باختلاف الزمان والمكان، وكلها تدور في فلك واحد، وهو عدم الإزعاج أو التثقيل.

وكما قيل: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف.

وعائد المريض هو الذي عليه أن يلحظ وبدقة مدىٰ ارتياح المريض وأهله لعيادته، ولكن علىٰ سبيل الإجمال هناك نقاط مشتركة، ومتفق عليها، نجملها في الآتي علىٰ سبيل التنبيه:

منها: عندما يكون المريض في مصحة أو مستشفىٰ:

فإن لهذه المرافق الحيوية نظامًا متبعًا في توزيع الدواء والغذاء، وساعات معاينة المرضىٰ وإشراف الأطباء، وفي تلك الحالات لا تتسع أوقاتها لغير عمل المختصين، والسماح بزيارة المريض يعيق كمال خدمته، أو علىٰ الأقل يوجد إحراجًا لنفس المريض، فقد تكون هناك حالة لا يرضىٰ باطلاع أحد عليها سوىٰ طبيبه المختص.

فأول واجب في تلك الحالات: هو احترام ومراعاة تلك النظم، اللهم إلا في الحالات الملحة، وبإذن من المختصين.

وقد يكون المريض في حالة لا تسمح بزيارته، ويمنع المسئولون الزيارة عنه، وهنا قد يلح بعض من يعز عليهم هذا المريض، ويصرون علىٰ زيارته، وفي ذلك إحراج المشرفين علىٰ علاجه، فضلًا عن التسبب في مضايقة المريض نفسه.

ونحن نعلم من أنفسنا أن هناك حالات يستتر فيها الولد عن والده، والوالد عن ولده، وقد يستتر أحد الزوجين عن الآخر، فالمريض أولىٰ وأحق في ذلك، وعملًا بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ

عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ [النور:٢٧-٢٨].

وقد تلح الشفقة، وتصر الرحمة علىٰ رؤية المريض اطمئنانًا علىٰ حالته، ويمكن إلىٰ حد ما الاكتفاء بمرئيات الطبيب المختص.

وقد يستثنىٰ من ذلك بعض الحالات القصوىٰ لمن وضعوا تحت الإنعاش لحالة تستلزم ذلك، ومعلوم أنها تعتبر من الحالات الخطيرة، فلو سمح الطبيب لذويه: كوالديه، وأولاده، وأحد الزوجين بلقائه، وإلقاء النظرة عليه، وكان ذلك لا يؤثر بحال، فإنها حالة إنسانية، لها تقدير ظروفها، وإنما حديثنا هذا للحالات العامة.

ومن جانب آخر، قد تستريح نفسية المريض لبعض عواده، وينشرح صدره إليه، فلو روعي في ذلك التسامح قليلًا بعد انتهاء مدة الزيارة، لكان إكرامًا للطرفين دون مضرة علىٰ أحد.

كما ينبغي أن يراعي عواد المرضىٰ في المستشفيات: عدم النزول علىٰ داعي العاطفة في تقديم ما يراه الزائر من أنواع الطعام والشراب مكارمة للمريض، فقد يكون المريض ممنوعًا من بعض تلك الأشياء، فيكون تقديمها بعيدًا عن مصلحة المريض، وليس من خدماته، ولاسيما والمستشفيات اليوم وخاصة بحمد الله في المملكة تقدم كل ما يصلح للمريض علىٰ مستويات عالية ومتميزة.

ومن ذلك: عدم التدخل في سير العلاج، ولو كان الزائر طبيبًا، وإن كانت له وجهة نظر، فبوسعه إبداؤها للطبيب المعالج، فقد يكون لديه من نتائج الكشف المتنوع والتحليل المخبري، ما لو اطلع عليه هذا الطبيب الزائر لعدل عن وجهة نظره.

ومن باب أولىٰ الزوار العاديون في آرائهم واقتراحاتهم؛ وذلك لأن المريض يتطلع دائمًا لكل ما يسمع به من أسباب الشفاء، وقد تتعلق نفسه بعض ما يقال له.

ومما يستحسن: أنه لا يسأل الطبيب عن تقصي حقيقة ما عند المريض، فقد يكون مما لا ينبغي للطبيب إفشاؤه، وأعطىٰ قسمًا عليه عند التخرج، كما لا ينبغي للطبيب أن يصارح ذوي المريض بحقيقة خطورة حالة مريضهم في سمع من المريض، وله أن ينورهم بما يظهر له فيما بينه وبينهم.

ولعل في ذلك ما يبرز أهم النقاط التي ينبغي مراعاتها مع نزلاء المستشفيات والمصحات بصفة عامة، وكما يقال: يرىٰ الحاضر ما لا يرىٰ الغائب.

ومما ينبغي ذكره قبل نهاية هذا الجانب: هو مراعاة نزلاء مهجع المريض في حالات مرضهم من عدم إزعاجهم بصكة الباب بقوة، أو برفع الصوت، أو إظهار التأفف من حالات بعض المرضىٰ.

ومن الجانب الإنساني ألا يخص مريضه بزيارته، فبوسعه بعد الانتهاء من زيارة مريضه الذي يخصه، أن يعرج علىٰ جيرانه، من عرف منهم ومن لم يعرف مؤانسة لهم، ما لم يكن هناك محظور شرعًا أو عرفًا.

ولا ينسىٰ عند المغادرة تقديم كلمة شكر، أو نظرة احترام وتكريم، لجميع أولئك الذين يسهرون لراحة المرضىٰ، ويواصلون الليل بالنهار في لطف وإشفاق، دون ملل ولا إعياء، يشاركوننا عواطفنا نحو مرضانا.

أما إذا كان المريض في بيته:

فهناك آداب تتعلق بشخص المريض، وآداب تتعلق بمكانه ومحتوياته، وآداب تتعلق بأهله، ومجمل ذلك ما رسمه الفقهاء -رحمهم الله-:

١- ألا يدخل علىٰ المريض غرفته إلا مستأذنًا، ليتهيأ المريض لاستقباله.

٢- أن يتحرىٰ الوقت المناسب للزيارة، ولو اتصل هاتفيًّا إن أمكن؛ ليستعد أهله لمقابلته، وإخلاء المحل من غير محارم الزائر.

٣- إذا دخل علىٰ المريض أسمعه من ذكر الله ما يبعث علىٰ الطمأنينة، كقوله: ما شاء الله، تبارك الله، أو قوله: الحمد الله، أو الصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ.

٤- ينبغي أن يجلس حيث أشار إليه من حضر عنده، والأولىٰ إلىٰ جهة رأسه، لما روىٰ ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا عاد مريضًا جلس عند رأسه[1]. رواه البخاري في الأدب.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

٥- ألا يسرح نظره فيما حوله كالمتفقد حالة البيت، أو أثاثه، سواء كان نفيسًا أو رثيثًا، فالأول: قد يوهم الحسد والاستكثار، والثاني: قد يثير الازدراء والاحتقار، وكلها تؤذي المريض وأهله.

٦- لا يكثر من السؤال عن العلة، ولا عن نوع العلاج، ولا صفة الطعام، اللهم إلا إذا سأله المريض أو أهله، فيشير أولًا إلىٰ مراجعة الطبيب، ويحث علىٰ طلب التداوي، وأنه من سنة المسلمين.

٧- لا يتحدث مع المريض ولا عنده بالفضول الممل، اللهم إلا بما فيه تسليته، وبما يستروح إليه، كما فعلت أم سلمة حين دخلت علىٰ رسول الله ﷺ وهو مريض، فذكرت له للتسلية ما رأت من نقوش وتماثيل في كنائس النصارىٰ... إلخ[1].

٨- إذا عرضت امرأة من البيت أو غيره، فليكف بصره، روىٰ البخاري في الأدب، عن ابن مسعود أنه دخل علىٰ مريض ومعه قوم، وفي البيت امرأة، فجعل رجل من القوم ينظر إليها، فقال له عبد الله: لو انفقأت عينك لكان خيرًا لك[2].

٩- أن يجعل زيارته غبًّا، حتىٰ لا يثقل علىٰ المريض ولا علىٰ أهله.

وما أجمل قول القائل في آداب عيادة المريض:

لا تضجرن عليلًا في مساءلة ... إن العيادة يوم بين يومين
بل سله عن حاله وادع الإله له ... واجلس بقدر فواق بين حلبين
من زار غبًّا أخًا دامت مودته ... وكان ذاك صلاحًا للخليلين

تنبيه:

قد يسأل عن أنواع المرض التي يعاد فيها أهلها، وعن المرضىٰ الذين لهم حق العيادة، وهو سؤال فعلًا وارد.

أما أنواع المرض: فكل من اشتكىٰ مرضًا عامًّا، أو وعكًا عضويًّا، حتىٰ الرمد

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤١)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٣١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

في العين، ما دام أقعده عن الخروج وألزمه البيت.

بوب البخاري في الأدب المفرد: باب العيادة من الرمد وساق عن زيد بن أرقم قال: رمدت عيني، فعادني رسول الله ﷺ... الحديث[1].

واستثنىٰ بعض الأحناف ثلاثة: وقالوا: ليست العيادة فيها سنة مؤكدة، وهي: العين، والضرس، والدمل؛ مستدلين بما رواه البيهقي والطبراني مرفوعًا: «**ثلاثة ليس لهم عيادة: العين، والدمل، والضرس**»[2]. وأجيب عنه بأنه موقوف.

وقد يقال: إن مثل هذه الحالات الغالب فيها خفة المؤنة، فقد يصاب بها الإنسان ويزاول أعماله.

وقد يضاف إليها الزكام الخفيف، والصداع الطارئ...إلخ.

ولعل هذا ما حدا ببعض العلماء أن يقول: لا يعاد المريض إلا بعد ثلاثة أيام من شكواه؛ لأنه إن كان يشتكي من أمر خفيف، ستزول شكواه في حدود الثلاثة الأيام، فإذا ما استمر به أكثر من ذلك، كان مستوجبًا للزيارة.

المرضى الذين لهم حق الزيارة:

أولًا: وفي مقدمتهم الأقارب، والجيران، ثم عموم الإخوة في الإسلام، كما تقدم في حق المسلم علىٰ المسلم.

ثانيًا: كل من تربطك به صلة، ولو لم يكن مسلمًا، فقد بوب العلماء لزيارة المشرك، قال البخاري في الأدب المفرد: باب عيادة المشرك، وأورد فيه عن أنس رضي الله عنه قال: إن غلامًا من اليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال: «**أسلم**». فنظر إلي أبيه وهو عند رأسه فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ،

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٣٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٥٢)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٥٣٥)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٦٦): موضوع.

فأسلم، فخرج النبيﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»[(١)]. وعند أبي داود: «**أنقذه من النار بي**»[(٢)].

وعند غيرهما: أنه لما أسلم فاضت روحه، فقالﷺ لمن معه من الصحابة: «**تولوا أنتم أمر صاحبكم**»[(٣)].أي: في تجهيزه وما يلزمه.

وهذا منهﷺ غاية في التواضع، والرحمة، وحفظ المعروف، وكان فيه إنقاذ نفسٍ من النار.

وقد صرح القرآن الكريم بما يؤيد ويثبت ذلك، في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

ومن برهم والإقساط إليهم: عيادة مريضهم، وتعزيتهم في مصابهم، ومساعدتهم فيما يحتاجون إليه، ما لم يكن فيه تأييد لشعار من شعاراتهم، أو مشاركة في أعيادهم... إلخ.

عدم زيارة الفاسق:

جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قوله: «**لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا**»[(٤)]. رواه البخاري في الأدب.

وقد يحمل هذا علىٰ المجاهر بذلك غير مبال بالمعاصي، ويكون في زيارته تكريم له أو إشعار بعدم الإنكار عليه، أما إذا لم يكن مجاهرًا ولا مستخفًّا بالمحرمات، أو رجي من زيارته نفع له بتوبة، أو استغفار، فلا أعتقد منع زيارته، وقد حمد النبيﷺ ربه أن أنقذ الله به اليهودي من النار، وما ذلك إلا بزيارته وعيادته في مرضه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٩٥).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٣) وفيه: «**صلوا عليه**»، وصلىٰ عليه النبيﷺ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٢٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد.

الزيارة بين الرجال والنساء:

لا بأس من ذلك لذوي المحارم ولغيرهم في غير خلطة ولا خلوة، وقد روي عن أم الدرداء: أنها زارت رجلًا من أهل المسجد من الأنصار، وذكر أبو داود عيادته ﷺ لأم السائب، وعيادته لأم العلاء، وساق خبرها المنذري قال: وعن أم العلاء وهي عمة حكيم بن حزام، وكانت من المبايعات، قالت: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة، فقال: «**يا أم العلاء، أبشري، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه، كما تذهب النار خبث الذهب والفضة**»[(١)]. رواه أبو داود.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٣٨).

القول في التداوي

جملة القول في التداوي هي حول صلاح جسم الإنسان:

وطبيعة هذا الجسم حسب خلق الله إياه، لو أنه سار علىٰ وفق ما فطره الله عليه، لا نجهده في عمل، ولا نهمله في صيانة، كان كجهاز يسير سيرًا طبيعيًّا، ولم تعترضه عوارض طارئة، يمكن أن يعمل ألف سنة، ولدينا المثال النموذجي لذلك، نبي الله نوح، لبث في قومه في سبيل الدعوة ألف سنة إلا خمسين عامًا.

وبالإضافة إلىٰ ذلك فترة ما قبل الدعوة، يكون أكمل الألف عام تقريبًا، فهو وإن كان ذلك بالنسبة إليه معجزة، إلا أن حصولها دليل علىٰ إمكان ذلك.

وقد كتب سابقًا بعض المختصين كتابًا في سلسلة: اقرأ، بعنوان: «عش ألف عام»، وذكر المنهج الذي يمكن لو طبق لتم ذلك، ولكن الإنسان يعجز أن يراعي حقوق هذا الجسم، كما نبه المصطفىٰ ﷺ الذي يصوم النهار ويقوم الليل، أي: يحمل جسمه فوق طاقته، قال له: «**إن لجسمك عليك حقًّا**»[(١)].

وكذلك أرشدنا ﷺ لعامل صيانة فيما بين العبد وخالق هذا الجسم في قوله ﷺ: «**كل سلامىٰ من الناس كل يوم تطلع فيه الشمس عليه فيه صدقة**»[(٢)].

وسلامىٰ الجسم: مفاصل أعضائه المتحركة، وعددها فوق الثلثمائة، وبيَّن ﷺ أنواع تلك الصدقات من أعمال البر، حتىٰ أن تعين الرجل علىٰ دابته، وتحمله عليها، والكلمة الطيبة،والأمر بمعروف... إلىٰ أمثال ذلك، وقال: «**يجزئ عن ذلك كله ركعتا الضحىٰ**».

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٣)، ومسلم (١١٥٩)، بلفظ: «إن لنفسك حقًّا».

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩).

وإذا ما قدر الله علىٰ الإنسان مرضًا بأي سبب من الأسباب، وبأي داء من الأدواء، فإن الله سبحانه قد جعل الدواء لكل داء، كما جاء عنهﷺ: **«ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء»**(١).

ومن حق هذا الجسم علىٰ صاحبه: أنه إذا أصيب بداء، أن يتعاطىٰ له الدواء، وفاءً بقولهﷺ: **«إن لجسمك عليك حقًا»**(٢).

والناس في ذلك ما بين مُفْرِطٍ ومُفَرِّطٍ، والفضل في الاعتدال.

موقف الناس من التداوي:

يعتبر تعاطي الأسباب للتداوي أمرًا فطريًا، حتىٰ عند بعض الحيوانات، فطرها الله علىٰ تعاطي بعض النباتات للتداوي، وهو أمر مُسَلَّمٌ به، وكذلك الإنسان مفطور علىٰ الأخذ بالأسباب في كل ما يدفع عنه الضر: من حرٍّ، أو بردٍ، أو تعرضٍ للإيذاء، والأخذ بالأسباب في كل ما يجلب له النفع: كاللباس، والطعام، والشراب، والمسكن، وغير ذلك من الأسباب الجارية في أمور حياته.

ولكنهم في أمر التداوي يمكن تقسيمهم إلىٰ قسمين اثنين:

القسم الأول: مع إيمانه بوجود الدواء لكل داء، واعتقادهم جواز وصحة الأخذ بالأسباب، إلا أنهم يرون أن الداء لم يكن من صنع أيديهم، وإنما هو بقدر الله وقضائه، فيرون ترك ذلك لإرادة الله واختياره، وأن بيده كشفَ الضر عنه، كما قال الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

وشجعهم علىٰ ذلك ما جاء في حديث السبعين ألفًا، الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلىٰ ربهم يتوكلون(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٨)، وابن ماجه (٣٤٣٨) واللفظ له.

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٨) دون قوله: «لا يرقون»، وهو عند مسلم برقم (٢٢٠).
قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٦٩٠): منكر بذكر: **«ولا يرقون»**.

وهؤلاء ندرة وقلة، ويمكن أن يقال: إذا لم يكن عليهم تبعات، ولهم التزامات، ولا تتعلق بهم حقوق الآخرين، فندعهم وما اختاروا لأنفسهم.

أما القسم الثاني: وهم عامة المسلمين، فإنهم يرون أن الأخذ بالأسباب في كل شيء، ومن ذلك التداوي، ولا يتنافى مع التوكل على الله، ولا يتعارض مع قضاء الله، بل إن الأخذ بالأسباب هو عين التوكل على الله، وهو كذلك من قدر الله وقضائه، وقد جاء عنهﷺ ما يؤيد ذلك قولًا وفعلًا.

ساق العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة الطب النبوي جملة مفيدة نوجزها كالآتي:

أولًا: مما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء؛ بَرَأَ بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ** »[1].

ثانيًا: وفي الصحيحين -أي: البخاري ومسلم رحمهما الله- عن عطاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «**ما أنزل الله من داء، إلا أنزل له شفاء**»[2].

ثالثًا: وفي مسند أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، من حديث زياد بن علاقة، عن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: «**نعم يا عباد الله، تداووا فإن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يضع داءً إلا وضع له شفاء غير داء واحد**». قالوا: ما هو؟ قال: «**الهرم**»[3].

وفي لفظ: «**إن الله لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**»[4].

رابعًا: وفي المسند والسنن، عن أبي خزامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٨)، ولم يخرجه مسلم.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وأبو داود (٣٨٥٥)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٠).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥١).

رقًىٰ نسترقيها، ودواء نتداوىٰ به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال: «**هي من قدر الله**»(١).

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها.

وقال أيضًا: وفي هذه الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد، بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضياتٍ لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوىٰ في التوكل.

فإن تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب علىٰ الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه...إلخ وهو كلام نفيس لا يحتاج معه تعليق.

ويؤيده ما جاء في موطأ مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في قصة طاعون عمواس، لما خرج عمر رضي الله عنه بالناس، وفي الطريق بلغه أن الطاعون قد حل بالشام، فشاور أصحابه في المضي أو العودة، فاختلفوا عليه، إلا مشيخة من قريش اتفق رأيهم علىٰ العودة، فأعلن عمر رضي الله عنه عودته، فقيل له: أفرارًا من قضاء الله؟ فقال: بل نفر من قضاء الله إلىٰ قضاء الله.

ثم جاءه عبد الرحمن بن عوف فقال: عندي في ذلك علم عن رسول الله ﷺ وهو أني سمعته يقول: «**إذا كان الطاعون في أرض قوم، فلا تدخلوها عليه، وإذا حل بأرض وأنتم فيها، فلا تخرجوا منها فرارًا عنه**»(٢). فكبر عمر وحمد الله أن وافق رأيه ما جاء عن رسول الله ﷺ.

وإن في هذا ما يعرف اليوم بالحجر الصحي، وهو الطب الوقائي، ومنه قوله ﷺ: «**لا يَرِدُ مصحٌّ علىٰ ممرض**»(٣). أو كما قال ﷺ في أحاديث عديدة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٦٥)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٦٥٥)، وأخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢٠).

أنواع التداوي:

واعلم بأن التداوي قسمان:

تداوي بالرقىٰ، والدعاء، وآيات من كتاب الله، كما جاءت أنواع الرقىٰ من العين، ومن الحمىٰ، والسن، وغير ذلك، وتداوي بالمطعوم والمشروب وهو عامة تداوي عموم الناس.

وهناك التداوي أو بالأصح العلاج بالطب العملي: كالجراحة وتوابعها، كالحَقنِ بالعضل، أو العرق، أو تحت الجلد، وكذلك تداوي العين بالكحل، والقطرة، والمس، ونحو ذلك.

وقد يكون العلاج بالحمية أو الاستفراغ، ومنها الحجامة علىٰ اختلاف حالاتها.

وليس بيان التداوي وأنواع الأدوية مما تتعلق به هذه الرسالة، فهناك العديد من المؤلفات، بل وجميع المستشفيات تعمل علىٰ تحقيق ذلك.

إلا أن أهم ما يعني الصحيح والسقيم، أنهم مجمعون علىٰ أنه كلما أمكن العلاج عن طريق الغذاء، فهو أفضل من تعاطي أي دواء، وإذا لزم الدواء، فكلما كان مفردًا بسيطًا؛ كان خيرًا من المتعدد المركب.

والذي يهمنا: أننا إذا كنا نعرض أنفسنا علىٰ الطبيب ونحن نثق في شخصه وفي طبه، فإننا نطمئن إلىٰ كل ما يقدم إلينا من دواء، وما يوجهنا إليه من علاج، وهو بلا شك مؤتمن علىٰ أرواحنا، وهو مدين أولًا لشرف المهنة، سواءً كان مسلمًا أو غير مسلم، ثم إلىٰ ما يرضي ربه سبحانه.

نصيحة:

ومما ينصح به حذاق الطب قديمًا وحديثًا: أنه لا يصح لإنسان أن يتعاطىٰ دواء لداء كان قد شفي منه إنسان ما؛ لأن هذا الدواء مع ذاك المريض، قد يكون خلافه مع مريض آخر.

بل إن هذا الدواء قد تكون له آثارٌ سلبية يتحملها مريض دون آخر، فلزم إرشاد الطبيب، وقد جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: إن بطن أخي استطلقت فقال له: «**اسقه عسلًا**». فسقاه، ثم جاء الثانية، والثالثة، ولم تقف بطن أخيه، فقال ﷺ: «**صدق الله وكذبت بطن أخيك**(١)»(٢).

وكذلك قد انتشرت كتب الطب بالأعشاب، ويقبل عليها الكثيرون لعودتها إلىٰ الطب النباتي والعربي، ولكن علىٰ قدر ما قرأت منها، لم أجد نصابًا للمقادير التي تتناسب مع كل حالة، بل أجدني غالبًا في حاجة إلىٰ معرفة نوع النبات الذي تتحدث عنه، وعن خواصه، فلا يسلم المتعامل معها من بعض الأخطاء، إما في المقادير، وإما في الأجناس.

ومعلوم أن لهذا النوع من الطب مختصين فيلزم استشارتهم، وعلىٰ سبيل المثال: تذكر تلك الكتب خواص الحنظل، وتكثر فيه، مع أن نبات الحنظل منه الذكر ومنه الأنثىٰ، وثمرة الذكور سم قاتل، وثمرة الإناث دواء شاف، وكيف يعرف أطباء الأعشاب الفرق بينهما؟

يذكرون أن المذكر منها لا تثمر إلا ثمرة واحدة، أما الأنثىٰ فتثمر العديد من ثمارها، وكذلك تذكر تلك الكتب وزن القمحة، والدانق، وهي أوزان قد اندثرت معالمها، إلا عند أرباب الاختصاص المتعاملين معها بمعرفة.

وهناك التداوي بالرقىٰ، سواء من كتاب الله، أو من سنة رسول الله ﷺ، وهذا النوع لم يختلف فيه من شخص إلىٰ آخر بالنسبة للمرضىٰ، ولكن بالنسبة للراقي، وقوة إيمانه، ومدىٰ صلاحه.

من ذلك قصة البعث الذين بعثهم النبي ﷺ، فمروا بحي من المشركين، فسألوهم القِرىٰ، فأبوا، فتنحوا عنهم جانبًا، ونزلوا فسلط الله عقربًا علىٰ سيد الحي،

---

(١) يشير ﷺ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩].

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧).

فجاءوا إلىٰ هؤلاء البعث، فقالوا: هل فيكم من راق، فقال أحدهم: أنا، فسار معهم، وشارطهم علىٰ جعل من الغنم، فرقاه بسورة الفاتحة، فكأنما نشط من عقال، وجاء أصحابه يسوق الغنم، فسألوه: ماذا فعلت؟ فأخبرهم، فقالوا: كيف نأكل شيئًا أخذته علىٰ قراءة القرآن؟ فلما رجعوا إلىٰ النبي ﷺ وأخبروه، قال لهم: «**اضربوا لي بسهم معكم**». وقال لصاحبهم: «**وما يدريك أنها رقية؟**». قال: شيء نفث في رُوعي[1].

وكذلك جاء عنه ﷺ في بيان آداب عيادة المريض أن يرقيه، ومن ذلك الآتي:

١- ما جاء عند مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الموطأ، عقد بابًا، بعنوان: التعوذ والرقية من المرض، وساق حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أنه أتىٰ النبي ﷺ وبه وجع قد كاد يهلكه، فقال رسول الله ﷺ: «**امسح بيمينك سبع مرات، وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد**»، قال عثمان: ففعلت ذلك، فأذهب الله -تبارك وتعالىٰ- ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم[2].

وساق المنذري هذا الأثر بلفظ: أن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه شكا إلىٰ رسول الله ﷺ وجعًا يجده في يجسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «**ضع يدك علىٰ الذي يألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[3]. وقال: رواه البخاري ومسلم.

٢- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اشتكىٰ منكم شيئًا أو اشتكاه أخٌ له، فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك وأمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك علىٰ هذا الوجع، فيبرأ**»[4]. رواه أبو داود.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١)، وأحمد (٣/ ٥٠).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٧٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٢)، ولم يخرجه البخاري.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب (٢٠١٣): ضعيف جدًا.

وعن ثابت البناني، قال لمحمد بن سالم: يا محمد، إذا اشتكيت، فضع يدك حيث تشتكي، ثم قل: «**باسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك، ثم أعد ذلك وترًا**»، فإن أنس بن مالك حدثني أن رسول الله ﷺ حدثه بذلك[١]. رواه الترمذي.

رقية النبي ﷺ نفسه:

روىٰ مالك في الموطأ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكىٰ يقرأ علىٰ نفسه بالمعوذات، وينفث، قالت: فلما اشتد وجعه كنت أنا أقرأ عليه، وأمسح عليه بيمينه رجاء بركتها[٢].

قال الزرقاني في شرحه: وعند مسلم في صحيحه بلفظ: وأمسح بيد نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركة من يدي[٣].

وقال: وفي رواية للبخاري عنها رضي الله عنها، أنه كان ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كل ليلة، جمع كفيه، ثم نفث فيهما، ثم يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بها علىٰ رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٤].

فهذه الرقىٰ والتعوذ عامة في عموم الأشخاص، وعموم الأوقات، وعموم الآلام، وكان السلف يعمل بها، ويوصي بها أهله وغيرهم، كما تقدم عن عثمان بن أبي العاص.

الرقية من خصوص العين:

ومما هو مسلم به لدىٰ الجميع: أن للعين تأثيرًا علىٰ الأشخاص، وعلىٰ الذوات،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٥٤): حسن لغيره.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٧٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠١٨).

حتىٰ الجمادات، وقد قال ﷺ: «**إن العين لحق**»[١]. وقال: «**لو أن شيئًا يسبق القدر لسبقته العين**»[٢]. وقال: «**العين تدخل الرجل القبر، والبعير القِدْرَ**»[٣]...إلخ.

وجاءت نصوص عنه ﷺ في الاسترقاء من العين من ذلك:

ما رواه مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الموطأ تحت عنوان: الرقية من العين، ساق فيه: أن دخل علىٰ رسول الله ﷺ بابني جعفر بن أبي طالب، فقال لحاضنتهما: «**ما لي أراهما ضارعين؟**». أي: نحيلي الجسم، فقالت حاضنتهما: يا رسول الله، إنه تسرع إليهما العين، ولم يمنعنا أن نسترقي لهما إلا أنا لا ندري ما يوافقك من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**استرقوا لهما، فإنه لو سبق شيء القدر لسبقته العين**»[٤].

وروىٰ أيضًا: أن النبي ﷺ دخل بيت أم سلمة، فوجد صبيًّا يبكي، فذكروا له أن به العين. فقال ﷺ: «**ألا تسترقون له؟**»[٥].

وقد تعالج العين بالوضوء إذا كانت من شخص معروف، قال مالك في الموطأ: الوضوء من العين.

وروىٰ أن سهل بن حنيف اغتسل فنزع جبة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر إليه، فقال عامر وكان سهل رجلًا أبيض حسن الجلد: ما رأيت كاليوم، ولا جلد عذراء؛ فوعك سهل مكانه، واشتد وعكه، فأتي رسول الله ﷺ فأخبر أن سهلًا وعك، وأنه غير رائح معك يا رسول الله، فأتاه النبي ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من أمر عامر، فقال رسول الله ﷺ: «**علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت -يعني: قال: تبارك الله- إن العين حق، توضأ له**». فتوضأ له عامر، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٩٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٤٩).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١٧٤٨)، والترمذي (٢٠٥٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٥٢).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (١٧٤٩).

(٦) أخرجه مالك في الموطأ (١٧٤٦)، وصححه الألباني في المشكاة (٤٥٦٢).

ثم ساق رواية أخرى تبين كيفية الوضوء للعين، وفيها: أنهم أخبروا رسول الله ﷺ أن سهلًا لا يرفع رأسه، فقال: هل تتهمون له أحدًا؟ قالوا: نتهم عامر بن ربيعة، فتغيظ عليه، وقال: «**علام يقتل أحدكم أخاه، ألا بركت؟ اغتسل له**». فغسل عامر وجهه، ويديه، ومرفقيه، وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره في قدح، ثم صب عليه، فراح سهل مع الناس ليس به بأس(١).

وقالوا في كيفية صبه على المصاب: أنه يغافل من خلفه، ويصب عليه...إلخ.

وقد ذكروا للوقاية من العين عند مخافة العائن، أن يقول الإنسان: ما شاء الله تبارك الله، يسمع بها من يخاف عينه، فإنه لا تضره عين العائن -إن شاء الله-.

الاستشفاء بكتاب الله:

واتفق السلف -رحمهم الله- على الاستشفاء بكتاب الله، بآيات منه مخصوصة، كآية الكرسي، وخواتيم سورة الحشر، وغير ذلك، أو بسور معينة، كسورة يس، والإخلاص، والمعوذتين، والفاتحة، أو دعوة صالحة من إنسان...إلخ.

وقد بين تعالى شفاء القرآن للمؤمنين في قوله سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

وبقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤].

ويلاحظ هنا أن الله قد جمع للقرآن في هاتين الآتين: الهدى والشفاء، وخصهما بالمؤمنين، ومعلوم أن الهدى هو الإرشاد والدلالة له على الخير، وأن الشفاء هو المعافاة من الأمراض.

وفي موضع آخر جاء وصف القرآن بالهدى مجردًا عن وصف الشفاء، وعم جميع الناس في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥] الآية. فلما أفرده بوصف الهدى، جعله عامًّا لعموم الناس.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٧٤٧).

ويفهم من مجموع ذلك أن القرآن هدًى لعموم الناس، وشفاء لخصوص المؤمنين.

وتأمل أيضًا الشفاء الثاني، وهو العسل، لما كان ماديًّا يستوي فيه المؤمن وغيره، قال تعالىٰ عنه: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ﴾ ولم يخص شفاءه بالمؤمنين كما خصه في القرآن.

ولهذا يشترط العلماء في الاستفادة والاستشفاء بالرقىٰ من كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ، أو دعوة صالحة مما هو روحاني لا مادي، أن يتوفر عنصر التقوىٰ والإيمان واليقين لدىٰ الطرفين: المريض والمعالج، فإيمان المريض ويقينه ينتج قبولًا وتأثرًا لديه، وإيمان المعالج ويقينه يعطيه قوة وتأثيرًا علىٰ من يعالجه، فإذا اجتمعت قوة فاعلية، وقوة انفعالية، وصلاحية فعالية العلاج،تم بإذن الله الشفاء.

ومثله ما قالوا في ماء زمزم: يشترط للاستشفاء به الوارد في قوله ﷺ: «**ماء زمزم طعام طعم، وشفاء سقم**»(١). إن ذلك إنما يحصل لكل مؤمن وموقن بذلك، ومن هنا كانت علامة فارقة بين المؤمن والمنافق، إذ المؤمن يستلذ بها ويتضلع منها، والمنافق يعافها ولا يستسيغها، أما هي في حد ذاتها فهي فعلًا طعام طعم، وشفاء سقم.

وفي هذا المعنىٰ لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام قيم ودقيق للغاية، ذكره في مقدمة كتابه: الداء والدواء، وذلك بعد أن ساق موضوع الاستشفاء بالقرآن والدعاء...إلخ: ولكن هنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الأذكار والآيات، أو الأدعية التي يستشفىٰ بها، ويرقىٰ بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل، وقوة همة الفاعل وتأثيره، فمتىٰ تخلف الشفاء، كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل... إلىٰ آخر ما ساق ممثلًا تأثر القلب بالجسم القابل للدواء المادي.

وقبول المحل: هو حسن اعتقاد المريض في صلاحية وفعالية الدواء يقينًا منه بالله.

وقوة همة الفاعل وتأثيره: تكون بقوة صلاحه، وشدة صلته بربه، وقد جاء أن

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (٤٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٣٥).

سعدًا قال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال: «**أطب مطعمك تجب دعوتك**»[١].

وقال ﷺ: «**ربَّ أشعث أغبر، لو أقسم على الله لأبره**»[٢].

وكما قال لعمر رضي الله عنه: «**إذا لقيت أويسًا القرني فسله أن يدعو لك، فإنه يقدم من اليمن وهو بارٌّ بأمه**»[٣].

وكذلك إذا كان من صالحي آل بيت رسول الله ﷺ فهو حريٌّ بالإجابة، كما فعل عمر رضي الله عنه مع العباس عم رسول الله ﷺ في الاستسقاء، فسقوا، فكان العباس يدعو وهم يؤمنون.

كما أن من عوامل الإجابة تحريَ الأوقات والأماكن الفاضلة، كجوف الليل، وفي السجود بين يدي ربه، ومصادفة الساعة التي في يوم الجمعة، وفي أعقاب العبادات، وفي الأماكن المقدسة...إلخ.

كما أن من أهم ذلك كله: هو التجرد، والإخلاص، والتضرع، والإنابة في تذلل وانكسار لرب العزة سبحانه.

وهناك يُجري الله على لسان العبد من أسمائه الحسنى ما تناسب حالته، وتسرع في إجابته، وأشد ما يكون ذلك عندما يشتد المرض والآلام على المريض، فيتوجه إلى أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين سبحانه، وبالله تعالى التوفيق.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٤٩٥)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب (١٠٧١): ضعيف جدًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

بيان أحكام المريض في عباداته وتصرفاته الفقهية

تمهيد موجز:

من مسلمات هذا الدين الحنيف السماحة والرحمة والتيسير، ومن آثار ذلك رفع الحرج في التكاليف، وأن المشقة تجلب التيسير، والنصوص من الكتاب والسنة متضافرة على ذلك.

١- من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥].

فهي نعمة رتب عليها شكر المنعم كما رتب عليها إمكان إكمال العدة، أي: فعدة من أيام آخر، وهذا مما هدى الله هذه الأمة إليه بخلاف الأمم قبلنا؛ ولهذا جاء ذلك الدعاء الجامع في آخر سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

فقد جاء في الأثر أنه سبحانه كان يقول عند كل دعاء: «قد فعلت، قد فعلت»[1].

وقد جاءت رخص التشريع أكثر ما تكون للمرضى والعاجزين من ذلك الآتي:

١- الطهارة للصلاة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا

(١) أخرجه مسلم (١٢٦).

وُجُوهَكُمْ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ﴾. وهذا التشريع العام في الحالات العامة.

ثم جاء للرخصة في الحالات الخاصة فقال: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

ثم بين كيفية التيمم بقوله: ﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾، ثم بين سبحانه تفضله ورحمته بنا: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾، أي في حالة المرض والعجز عن استعمال الماء أو سفر، أو عدم وجود ما يتوضأ به، ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾، بإيجاد البديل عن طهارة الماء بالترابية في هذا التيمم، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].

٢- **في فريضة الصيام**: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: يقدرون علىٰ الصوم ولكن بجهد وبذل الطاقة كلها كالشيخ الكبير مثلًا: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤].

٣- **وفي الحج**: في محظورات الإحرام: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ والإحصار يكون بمرض أو بعدو: ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾ أي: واحتاج المريض إلىٰ شيء من اللباس، ومن به أذىٰ من رأسه فحلق شعره أو غطىٰ رأسه ففدية ﴿مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦].

٤- **وفي الجهاد**: الذي هو ذروة الإسلام وعماده: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

ومع هذا الوعيد الشديد لمن يتولىٰ عن قتال أولئك القوم يسقط الله واجب القتال عن المريض ومن يلحق به فيقول تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح:١٦-١٧].

٥- وفي أمور الحياة وضروراتها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

وبعد هذا البيان لهذه المحرمات وأنها فسق وضارة، وبيان إكمال الدين بإتمام التشريع يرخص سبحانه عند الضرورة والاضطرار ما يتيسر للإنسان من تلك المحرمات فيقول سبحانه: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣].

ولهذه الآية أباح العلماء في ثلاثة المذاهب: الحنفي والمالكي والشافعي التداوي بغير المباح، واستدل المتأخرون على إباحة نقل الدم عند الضرورة بهذه الآية الكريمة.

هذا مجمل ما ينبغي أن نذكر به إخواننا من التيسير والرخص في الشريعة السمحاء، وأن الأخذ بالدين، كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما: إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه(١).

ولكل رخصة من هذه وأمثالها مباحثها في كتب الفقه، ويهمنا ما يتعلق بالمرضى سواء كان من قبيل الرخصة أو العزيمة.

وهذا يتناول مباحث عباداته: من طهارة، وصلاة، وصيام، وحج، وجهاد، ثم معاملاته: من تصرفاته المالية والحكمية، فالمالية: من بيع وشراء وهبة وعطاء...إلخ. والحكمية من نكاح وطلاق وإقرار وإعتاق...إلخ.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٥٦٨) مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٦٠).

ما يتعلق بالعبادات:

وهنا نقدم ما يحتاجه المريض في غاية الإيجاز دونَمَا تعرضٍ لخلافٍ فقهيٍّ ولا استدلال علمي، ونؤكد للقارئ أن ما نورده هو المقدم عند جمهور العلماء وهو ما نعتقد صوابه، ونأمل عند الله ثوابه، وهو خلاصة ما في الكتاب والسنة ودواوين الفقه، وموجز بالقدر الذي يتناسب مع حجم هذه الرسالة المباركة -إن شاء الله-.

أولًا: الصلاة: من المعلوم أن الصلاة عماد الدين.

وقال فيها ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم: الصلاة فمن ترك الصلاة فقد كفر**»(١).

وقال عمر ﷺ في حال مرضه: لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

وكل عبادة قد تسقط ببعض الأعذار إلا الصلاة لا يسقطها شيء عمن هي واجبة عليه، ولهذا وجدناها واجبة علىٰ المقاتلين وساعة المسابقة رجالًا وركبانًا، وفي حالتي الكر والفر، فلم تسقط بحال، ولكن يدخلها التخفيف في أركانها وفي شروطها، وعليه فما دام المريض في وعي وإدراك فإن الصلاة واجبة عليه، ولكن نظرًا لمرضه فتكون بقدر استطاعته سواء هي أو كل ما هو شرط لها، كالآتي:

الطهارة: أوجب الله الطهارة من الحدثين لصحة الصلاة في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: أردتم إقامتها وأداءها: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ إلىٰ آخره.

فهذا للحدث الأصغر، وعن الحدث الأكبر قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾، وجاء في حق المريض وعادم الماء، قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ أي: بحالة لا تستطيعون استعمال الماء لعدم تحمله من جرح أو مرض لا يتناسب معه: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾.

فأباح للمريض التيمم، والمريض هنا هو من يعلم من نفسه التضرر بالماء في زيادة مرضه، أو آلامه، أو تأخير شفائه، أو أمره الطبيب.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١٤٣).

وسواء كان الطبيب مسلمًا كما يقول كثير من الفقهاء، أو لم يكن مسلمًا ولكنه ثقة مأمون؛ لأننا قد ائتمناه علىٰ أرواحنا واستعملنا الدواء منه ثقة فيه، وإن النهي عن استعمال الماء لهو جزء من العلاج.

فإذا نُصِح بعدم استعمال الماء أو عدم الصوم في رمضان، أو عدم السجود في الصلاة لمرض يتعلق بالظهر أو بالعين أو غير ذلك، فلا شك أن الأخذ بقوله أضمن للمريض، والله أعلم.

كيفية التيمم ومتى:

أولًا: إذا كان المريض لا يتضرر من استعمال الماء، ولكنه لا يستطيع أن يتحرك للتوضؤ فيوضئه أولىٰ الناس به.

ثانيًا: إذا كان في هذه الحالة لم يجد من يوضئه يتيمم إن استطاع أو ييممه من حضره.

ثالثًا: وكيفية التيمم للمريض بنفسه أو بواسطة غيره، أو حتىٰ للصحيح، هي كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾.

وبين ﷺ تلك الكيفية بقوله: «**التيمم ضربتان: ضربة لوجهه وضربة لكفيه**»(١).

والصعيد كل ما نص علىٰ وجه الأرض من أجزائها ترابًا أو رملًا أو حجرًا، والحديث: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي**»، وفيه: «**وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»(٢).

وهنا نواجه حالة في مرضىٰ المستشفيات، وهي محل العناية في النظافة، فأين

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج الحاكم في المستدرك (١/ ٢٨٧)، والدارقطني في السنن (١/ ١٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٦٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «التيمم ضربتان: ضربة للوجه وضربة لليدين إلىٰ المرفقين»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٤٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

للمريض بما يتيمم عليه؟ والجواب:أنه من المتيسر استحضار مقدار من الحصىٰ الذي لا يتطاير مع الحركة، ووضعه في مثل كيس شفاف، أو علبة الحلوىٰ، التي تقدم هدية للمرضىٰ، يستعمله للتيمم دون تعارض مع النظافة.

وبعض العلماء يبيح التيمم علىٰ حجر يمكنه أن يضرب بيده عليه، وأولىٰ من هذا كله: لوحة من الرخام الطبيعي الذي لم تدخلها مواد مصنعة، سوىٰ قصها وتنعيمها، فإن مثلها يصح التيمم عليه عند كل من الأحناف والمالكية، ونحن لا نحقق هنا خلافًا فقهيًّا، ولكن نقدم ما فيه تيسير علىٰ المريض الذي هو محل الرخص.

رابعًا: قد يدخل وقت الصلاة وليس عند المريض من يساعده علىٰ الطهارة سواء بالماء أو بالتيمم، فماذا يفعل؟

الصحيح عند جماهير العلماء أن يصلي قبل خروج الوقت ويسمىٰ عند الفقهاء: فاقد الطهورين، وهذا ما يتفق مع قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

خامسًا: إذا كان المريض أحيانًا وأحيانًا، أحيانًا يجد من يساعده في طهارته، وأحيانًا لا يجد، فإن له عند خوفه ألا يجد أحدًا فيما سيأتي من الأوقات، ووجد في الوقت الأول وتطهر سواء بالماء أو التيمم، فإن له أن يجمع الوقتين اللذين يجوز جمعهما معًا العصر مع الظهر، والعشاء مع المغرب.

سادسًا: وكذلك يجمع الصلاتين إذا كان علىٰ موعد العملية، ويستغرق وقتًا فيها، أو متأثرًا بالبنج فالجمع لهذه الضرورة أولىٰ، والله تعالىٰ أعلم.

سابعًا: قد يجمع بين الوضوء والتيمم إذا كان بأحد أعضاء الوضوء جرح لا يقبل الماء، توضأ علىٰ السليم، وتيمم للجرح، فإن كان علىٰ الجرح جبيرة من جبس أو لفافة لا يقبل فكها أو لصقة لازمة، توضأ علىٰ السليم ومسح علىٰ الجبيرة، ولا إعادة عليه علىٰ الصحيح عند العلماء.

ثامنًا: مرضىٰ في شكل الأصحاء: وهم من بهم سلس يبطل الوضوء، كالمستحاضة، وسلس البول، والريح، يكفيهم الوضوء لكل صلاة، ويتحفظون من تلويث المكان، ولا تبطل طهارتهم ولا صلاتهم بخروج ذلك.

أداء الصــلاة:

ولعل الصلاة ألزم ما تكون للمرضىٰ، تقوي يقينهم بالله، وتجدد رجاءهم فيما عند الله، وتجعلهم في طمأنينة وارتياح وإيمان بقدر الله، وهذا أدعىٰ لاستجابة المرض لفاعلية العلاج، فهي أنيسه في وحشته وملاذه في شدته، فضلًا عن أنها لا تسقط بحال من الأحوال، ما دام الإنسان لديه الوعي وهو يؤديها حسب استطاعته، ومعلوم أن القيام ركن في الصلاة لقوله تعالىٰ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]. فإن عجز قائمًا صلىٰ جالسًا متربعًا أو كجلسته في التشهد، بحسب ما يتيسر له، ولو مادًّا رجليه أمامه، ولو استطاع القيام وعجز عن الركوع أو السجود أتىٰ بالمستطاع وركع أو سجد بقدر استطاعته، ولا يصح أن يضع أمامه مثل المخدة، أو نحوها مرتفعًا ليسجد عليه، فإمَّا أن يسجد علىٰ الأرض، وإما أن يومئ إيماءً لنهيه ﷺ عن ذلك.

أ- ويلاحظ هنا في خصوص مرضىٰ العيون، فقد اتفق الأطباء قديمًا وحديثًا أن من أجرىٰ جراحة في عينه لا ينبغي أن يسجد، ولا يمكِّن جبهته من الأرض، فهذا يومئ إيماء.

ب- وإن عجز جالسًا كمن ألزمه الطبيب بالاستلقاء علىٰ ظهره، سواءً مرضىٰ العظام أو العيون أو غيرهم، فإنه يصلي وهو علىٰ استلقائه، ويحرك رأسه للركوع والسجود مفاوتًا بين الحركتين.

ج- وإن لم يستطع تحريك رأسه أو كان ممنوعًا من ذلك أشار بأجفانه، أو يمر بأحوال الصلاة علىٰ قلبه، ويقرأ موضع القراءة، ويسبح موضع التسبيح.

وهذا هو عمل الصلاة أثناء المقاتلة، فليس هناك ركوع ولا سجود ولا إيماء، وكذلك الهارب من مثل أسد أو عدو...إلخ.

د- عليه أن يكون في استلقائه علىٰ ظهره مادًّا قدميه إلىٰ جهة القبلة؛ لأنه بذلك سيكون وجهه مستقبلًا القبلة، فلو قدر أنه استطاع الجلوس لجلس مستقبلًا القبلة.

هـ- فإذا كان وضعه في سريره أو هو مريض في بيته أو هو في عربة إسعاف أو رحلة

طائرة، وليس بإمكانه أن يكون علىٰ هذا الوضع، فإنه يصلي كيفما كان وضعه كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥].

و- أما النوافل فلا حرج عليه، فقد كانﷺ يتنفل في سفره علىٰ راحلته حيثما توجهت به، وكذلك أصحاب السفن والطائرات إذا لم يجمعوا بين الصلاتين قبل سفرهم، وخافوا خروج وقت الصلاة، صلوا علىٰ أية حالة هم عليها مستقبلي أو مستدبري القبلة.

حكم الجمعة والجماعة على المرضى:

تسقط الجمعة عن المريض ومن يحتاجه بجانبه، كالطبيب المناوب والصيدلي إذا لزم، ومن يمرض المريض، أما الجماعة فإن أمكن أداؤها في محله وعنده من يصلي معه فبها، وإلا سقطت عنه.

ومن كان يستطيع الصلاة قائمًا منفردًا، ولا يستطيع الجماعة إلا جالسًا، صلىٰ منفردًا مع القيام؛ لأن القيام ركن مجمع عليه مع القدرة.

الصيام:

والصيام وإن كان ركنًا من أركان الإسلام إلا أن الرخصة جاءت فيه لا لإسقاطه، ولكن لإبداله عن رمضان بأيام أخر، لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، وفي فطر المريض جوانب فقهية كالآتي:

أولًا: مدىٰ المرض الذي يبيح لصاحبه الفطر: هو ما قيل في مبيح التيمم، ما كان يضره الصوم أو يؤخر مدة شفائه سواء كان بمعرفته هو أو كان برأي طبيب ناصح ثقة أمين.

وقد وضعوا مقياسًا تقريبيًّا وهو من عجز عن الصلاة قائمًا وصلىٰ قاعدًا فإنه يفطر.

ما يباح للمريض القادر على الصوم بدون ضرر من التداوي:

أ- كل مداواة الجراحة من شق أو خياطة أو غيار بغسيل أو مراهم أو غيرها.

ب- كل تعاط من الإبر في العضل؛ لأنها لا تصل إلىٰ الجوف وهذا قياسًا علىٰ مداواة الجرح، وقد يكون للجرح غور في العضل أبعد مما تصل إليه الإبر علمًا بأنه يدخل في هذا الجرح من الأدوية ما لو أدخلت عن طريق الفم لأفطرت.

ج- ومما هو مستحدث الآن أخذ الدم للتحليل سواءً عن طريق الوريد أو الجلد، ومثله تعاطي الدم في عملية: نقل الدم، فإن الجمهور علىٰ أن كل ذلك لا يتعارض مع الصوم، والخلاف في الحجامة عند الحنابلة، فإن احتاجها وهو قادر علىٰ الصوم فليجعلها ليلًا.

د- وما يقع السؤال عنه خلع السن وفتح الدمل، والرعاف، فالكل لا يتعارض مع الصوم.

هـ- وما كان عن طريق نافذة إلىٰ الجوف كالأنف في النقط أو العين في القطرة، فإن وصل شيء من ذلك إلىٰ الحلق فقد تعارض مع الصوم؛ وعليه فإن كان في حاجة داعية فيفطر ويتعالج وإلا كان ذلك ليلًا.

و- ومن أغمي عليه واستغرق الإغماء من الفجر حتىٰ غروب الشمس كأهل الإنعاش مثلًا، أو المتأثرين بالبنج أو بعض حالات أحداث المرور، برجة في المخ أو غير ذلك، فلا صلاة ولا صيام عليهم.

ومن أفاق وأدرك من الوقت شيئًا فعليه القضاء، كمن أدرك من النهار قبل الغروب شيئًا، فعليه قضاء ذلك اليوم وصلاة فريضة ذلك الوقت وهي العصر، وقيل: يقضي معها الظهر؛ لأنهما يشتركان في الوقت بصحة جمعهما معًا جمع تقديم أو جمع تأخير.

تنبيه:

إن المريض الذي يعالج في المستشفىٰ وتحت إشراف الطبيب لا ينبغي أن يكون حماسه ورغبته في الصوم عائقًا عن سير العلاج علىٰ ما قدمنا، فإن كان العلاج

لا يتعارض مع الصوم فبها، وإلا فله من الله الرخصة، ومن الطبيب التعاون، وصار فرضه عدة من أيام أخر.

الحج:

لا يجب الحج ابتداءً على المريض لاشتراط الحج على المستطيع، والمريض عاجز، ولكن قد يبدأ الحج صحيحًا فيعتريه المرض بعد الإحرام.

فعلى هذا المريض أن يأتي من أعمال الحج ما استطاع إليه سبيلًا ابتداءً من الطواف، فإن استطاع بنفسه فبها وإلا طاف محمولًا أو راكبًا.

ويشير إلى الركن كلما مر به، ويصلي ركعتي الطواف جالسًا أو مستلقيًا كما تقدم، وكذلك الحال في السعي.

وينبغي أن يعلم أن أي مرض لا يخرج صاحبه من الإحرام إلا إذا طاف بالبيت، اللهم إلا إذا اشترط عند إحرامه فقال: فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني، فحينئذ إن كان مرضه يطول تحلل وساق نسكًا احتياطًا.

وإن احتاج في إحرامه إلى استباحة محظور من محظورات الإحرام كاللباس الممنوع وهو المحيط بالبدن على هيئة من الإحاطة وليس من المخيط بالخياطة، أو إلى حلق شعر لهوام في الرأس أو لجراح أو نحو ذلك مما يذكرونه، فحلق للمصلحة المرجوة فلا إثم عليه، ولكن عليه نسك في مقابل ذلك.

وإذا جاء عليه يوم عرفة وهو مريض، فإن ذهب به إلى الموقف سواء في سيارة الإسعاف أو مع أهله وأدرك الموقف ساعة من ليل أو نهار أجزأه.

وإن أفاض من عرفات واضطر إلى النزول إلى مكة فأناب من يرمي عنه فلا بأس، وسواءً حلق بمنى أو بمكة، وإن طاف طواف الإفاضة وسافر أجزأه.

وإن كان لم يطف للإفاضة وأراد العودة إلى بلده وكان متيسرًا له العودة ثانية إلى مكة بعد شفائه لأداء طواف الإفاضة، فلا بأس، مع الحفاظ على مابقي من محرمات الإحرام في خصوص النساء.

أحكام المريض في المعاملات:

تنحصر معاملات المريض في قسمين: فيما له وفيما عليه، من بيع وشراء وهبة وعطاء، ومن طلاق ونكاح وما يترتب عليه، ووصايا وأوقاف، وكل ما يدور حول ذلك يرجع إلىٰ اتهامه أو غير اتهامه في أن يحيف علىٰ غيره، وهذا ينحصر في حالة المرض وهي حالتان:

مرض عادي لا خوف فيه علىٰ المريض حسب المعتاد كالحمىٰ الخفيفة، أو الزكام، أو مرض عين، أو يد، أو رجل...إلخ.

ومرض مخوف يخشىٰ عليه فيه الموت، كمن أصيب في دماغه أو معدته بجراح خطيرة، أو طال به المرض وحالته في نقص دائم، أو نحو ذلك.

فكل مريض من النوع الأول فإن تصرفه كتصرف السليم سواءً بسواءٍ، أما مرضىٰ الحالة الثانية: فكل تصرف يتوجه إليه الاتهام بمضرة الآخرين فهو موقوف، من ذلك:

البيع والشراء والإيجار والرهن وما فيه عوض مالي باتفاق، ويلحق بذلك إقرار الإنسان بدين لا بينة عليه إن كان متهمًا بمحاباته ومضارة الورثة، وكذلك عطاؤه وهبته.

إلا وصيته المالية فله في حدود الثلث فقط، والثلث كثير.

ومن ذلك تزوجه وهو غني عن الزواج، متهمًا إدخال وارثةٍ والتزامه بصداق لها، ومن ذلك طلاقه لزوجته متهمًا حرمانها من الميراث.

إلا أن طلاقه هذا لا يمنعها من الميراث عند الأئمة الثلاثة: الأحناف والمالكية والحنابلة معاملة بنقيض قصده، ولا يرثها إن هي ماتت قبله مؤاخذة له بالطلاق المذكور.

وهناك أحكام عديدة ليس هذا محل بسطها، والغرض عندنا: عمومات ما يلزم المريض والصحيح معرفته والقيام بأدائه أو اجتنابه. وبالله تعالىٰ التوفيق.

توجيه لمن يمنُّ الله تعالى عليهم بالشفاء:

إذا أنعم الله علىٰ مريض بالشفاء وأحب أن يقرب قربة لله من عمرة أو صوم أو صدقة أو إطعام شكرًا لله، فإن له ذلك بناءً علىٰ أن الشفاء نعمة متجددة، أخذًا من فعل ابن عمر رضي الله عنهما لما أنهىٰ دراسة سورة البقرة نحر جزورًا شكرًا لله؛ لأنها نعمة متجددة.

وقد أدركنا بعض مشايخنا عند ختم كتاب في دروس المسجد النبوي، جمعوا الطلاب علىٰ طعام شكرًا لله كما قيل في عودة المسافر، وبناء البيت، وسلامة النفساء، ونحو ذلك، والعلم عند الله.

❊ ❊ ❊

خاتمة

شكر وعرفان:

روىٰ أبو داود والترمذي: عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»(١).

وروىٰ الترمذي، والنسائي عن أنس ﷺ، أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله، ذهبت الأنصار بالأجر كله، قال: «**لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم**»(٢).

وأحب في خاتمة هذه الرسالة أن أؤكد ما أشرت إليه في المقدمة، فأسجل شكري وثنائي ودعواتي لهذه الجهود المباركة والمخلصة، والتي تظهر للمريض أو الزائر في أي مستشفىٰ عام يدخله أو يتردد عليه في جميع مناطق المملكة.

فالعيادات الخارجية، ونظام القبول، والسجلات الدائمة للمرضىٰ، والتحاليل المخبرية، والصور الشعاعية، والعمليات الجراحية، وتوفير الأدوية، والعناية بالتغذية والنظافة، والراحة النفسية، كل ذلك يقدم للناس جميعًا علىٰ سواء، لا فرق بين غني وفقير، ومواطن ومقيم، وفي مواسم الحج والعمرة، تشمل هذه الخدمات ضيوف الرحمن والزوار والمعتمرين من غير مقابل، وبكفاءة عالية، وعمل متقنٍ دءوب.

وإذا كنت أخص بالشكر والتقدير وزارة الصحة وجميع المسئولين فيها؛ فلأنها المنفذة للتوجيهات السامية، والمسئولة إداريًا وتنظيميًا عن جميع هذه المرافق الطبية الراقية التي تسر القلب وتثلج الصدر، وتوفر علىٰ الناس مشقة السفر إلىٰ البلاد الأجنبية،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨١٢)، والترمذي (٢٤٨٧)، وصححه الألباني في المشكاة (٣٠٢٦).

والنفقات الباهظة، التي تثقل كاهلهم، وتزيد من آلام مرضاهم.

بالإضافة إلىٰ المستشفيات الجوية للطوارئ والنائين عن المدن في القرىٰ والبوادي، وقد لا يكون له مثيل في أكثر دول العالم، فلهم منَّا حسن الثناء ومن الله عظيم الجزاء.

* * *

الفهـرس

المقدمة ٥
عظيم الأثر لمن أصيب فصبر ٧
القدر الخاص ٨
القدر السنوي للعالم ٩
ابتلاء العبد وامتحانه ١٢
بلوغ المنازل العالية بالصبر علىٰ البلاء ١٢
تكفير الخطايا بالمرض ونحوه ١٣
المعادلة بين المعافاة أو الصبر وله الجنة ١٣
جريان عمل المريض حتىٰ يشفىٰ ١٥
معادلة بين أجر الشهداء والصبر علىٰ البلاء ١٦
نماذج للصبر الجميل ١٨
النموذج الأول في سلف هذه الأمة ٢٠
عروة بن الزبير ٢٠
النموذج الثاني ٢٢
عيادة المريض ندبها وآدابها وثوابها ٢٤
الدعاء بين المريض وعواده ٢٧
آداب عيادة المريض ٣٠
المرضىٰ الذين لهم حق الزيارة ٣٤
عدم زيارة الفاسق ٣٥

الزيارة بين الرجال والنساء ٣٦
القول في التداوي ٣٧
موقف الناس من التداوي ٣٨
أنواع التداوي ٤١
نصيحة ٤١
رقية النبي ﷺ نفسه ٤٤
الرقية من خصوص العين ٤٤
الاستشفاء بكتاب الله ٤٦
بيان أحكام المريض في عباداته وتصرفاته الفقهية ٤٩
تمهيد موجز ٤٩
ما يتعلق بالعبادات ٥٢
كيفية التيمم ومتىٰ ٥٣
أداء الصلاة ٥٥
حكم الجمعة والجماعة علىٰ المرضىٰ ٥٦
الصيام ٥٦
الحج ٥٨
أحكام المريض في المعاملات ٥٩
توجيه لمن يمنُّ الله تعالىٰ عليهم بالشفاء ٦٠
خاتمة ٦١
الفهرس ٦٣

❊ ❊ ❊

مع المرضى

في صبرهم وقدرهم وأجرهم وعيادتهم وتداويهم وعباداتهم

مكتبة الإرشاد

خلف الجامع الأزهر - القاهرة - جمهورية مصر العربية
محمول : ٨٣٩ ٩٩ ٩٨ ٠١٨ / ٠٠٢
E-mail:al-ershad@hotmail.com